

أعلاق نفيسة
بأقلام العُمانيين المعاصرين
(١)

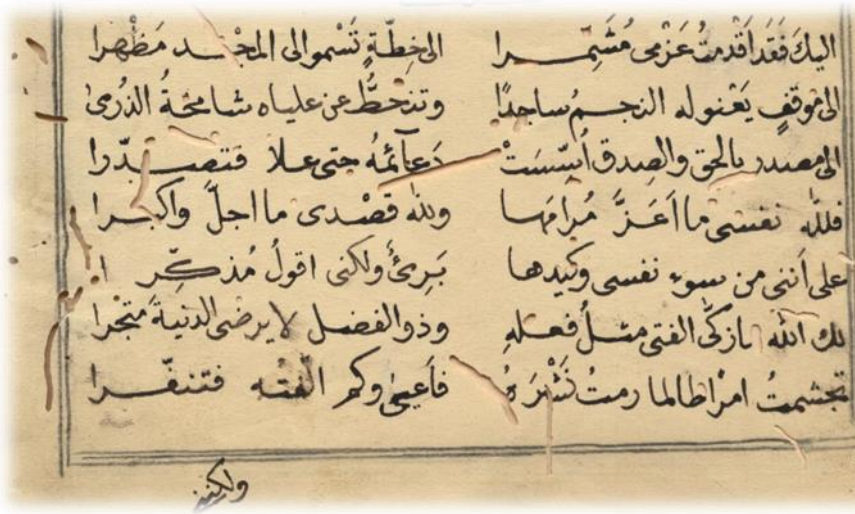
محبوب
الإصدار الثامن والستون

قصيدة

جَوْهَرَةُ النَّظَامِ

إنشاء أمير البيان الشيخ

عبد الله بن علي بن عبد الله الخليلي (ت ١٤٢١هـ)



ضبط نصّها

سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني

سلسلة: أعلام نفيسة بأقلام العُمانيين المعاصرين

الحلقة الأولى

قصيدة جوهرة التّظام

إنشاء أمير البيان الشيخ: عبد الله بن علي بن عبد الله الخليلي (ت ١٤٢١هـ)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرقمية الأولى

ربيع الأول ١٤٤٥هـ / سبتمبر (أيلول) ٢٠٢٣م

محبوب

محبوب للنشر الرقمي

مسقط / سلطنة عُمان

البريد الإلكتروني:

mahboub.pd@gmail.com

قصيدة

جَوْهَرَةُ النَّظَامِ

لأمير البيان الخليلي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،
وعلى آله وصحبه ومن والاه

• تمهيد:

لا تَخْفَى على كل مشتغلٍ بالأدب في عُمان آثارُ أميرِ البيان الشاعر الكبير: عبد الله بن علي بن عبد الله الخَلِيلِي (المتوفى في ٢٨ ربيع الآخر ١٤٢١هـ/ ٣١ يونيو ٢٠٠٠م)، ولعلَّهُ مِنْ أَوْفَرِ الأدباء المتأخرين حَقًّا من الدراسة والبحث، فقد قُدِّمَتْ عن أدبه المنشور والمنظوم أطروحاتٌ متعددة بين مقالاتٍ قصيرة وأبحاثٍ مُحْكَمَةٍ ورسائلٍ جامعية.

لذا لن يكون حديثي هُنا عن القالب الأدبي الذي نُسِجَتْ فيه (جَوْهَرَةُ النَّظَامِ)، إنما موضوعُها الذي يدور حول نهضة الأمم ووحدةها هو الدَّافِعُ الأكبر وراءَ نَشْرِها، وليس ذلك بغريبٍ عن الشيخ الخليلي، فلَهُ مِنْ نَيْرِ الأفكار حول هذه المعاني السامية ما يَزْخُرُ به شِعْرُهُ ونَثْرُهُ، ثم إنه ينتمي إلى المدرسة الإباضية التي ضَرَبَتْ مثلاً في الوحدة الإسلامية تنظيراً وتطبيقاً، وينتمي إلى الوطن العُماني الذي جَسَّدَ عَبْرَ أدوار التاريخ معاني الإخاء والتَّسَامُح والتَّوَادُد.

وإذا عَلِمْنَا أن قصيدة (جوهرة النظام) كانت ضمنَ قصائد ديوان الشاعر الخليلي الموسوم بـ (وَحْيِ الْعَبْقَرِيَّةِ)^(١) فَإِنَّ إعادةَ نَشْرِهَا هُنَا لها مُبَرَّرَاتٌ؛ أولها: تأكيدُ رسالة الشاعر إلى أبناء أمته، وحرصه على نهضتهم، ونصيحته لأئمة المسلمين وعامتهم، فقد وَجَّهَ نداءه فيها إلى عمِّه الإمام محمد بن عبد الله الخليلي (الذي حكم بيني سنتي ١٣٣٨-١٣٧٣هـ) وإلى رجال دولته، في وقتٍ حَرِجٍ، كانت فيه وطأة العدو الغازي تَشْتَدُّ، وتَنَارُغُ الإِخْوَانُ يَحْتَدُّ، والمصلحة العامة تَحْبُو وتَغُورُ، والنزعاتُ الشخصية تَطْفُو وتَثُورُ.

ثم إنه تجاوزَ حدود بلده ومدَّ جُسُور التواصل إلى الشَّيْخ أبي إسحاق إبراهيم اطفَيْش الجزائري (ت ١٣٨٥هـ) نَزِيلِ مِصر القاهرة؛ فَبَعَثَ إليه «هذه القصيدة الغراء، واليتيمة العَصْمَاء، صِلَةً وَدَادِيَّةً وَحُبَّةً دِينِيَّةً»، ليشاركه همومه، ويكونَ عَضُدًا له في نداءاته ودعواته. ودَوَّرَ أبي إسحاق العلمي وجهه الإصلاحي غيرُ خافِيَيْنِ آنذاك، وكان أشَبَّهَ بالناطق الرسمي باسمِ عُقلاء الأمة العُمانية.

وثالثُ المبررات: أَنَّ الشاعر ارتأى لهذه القصيدة وَضْعًا خاصًّا، فاختار لها عنوانًا لا يَحْدُهُ في نسخة ديوان (وحي العبقريّة)، وأنشأ لها

^(١) انظر: ديوان وحي العبقريّة؛ للشاعر: عبد الله بن علي الخليلي. ط ٢: ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م. مطابع دار جريدة عمان للصحافة والنشر - رُوي / سلطنة عُمان. ص ١١٢. و: الموسوعة الشعرية لأمير البيان؛ تحقيق: سعيد بن سالم النعماني. ط ١: ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م. الناشر: أنجال المؤلف. مج ٩ / ص ٣٣.

(خطبة) تُنبئُ عن مضمونها، لا نَجِدُها أيضًا في نسخة الديوان، فلأجل ذلك أَرَدْنَا نَشْرَها مُفْرَدَةً، حتى تَلْتَفِتَ الأنظارُ إلى رسالتها ومحتواها.

والمخطوطة التي اعتمدتُ عليها في إخراجها كَتَبَها - بأمرٍ مُنْشئِها - الخطَّاطُ البارِعُ الأديب: سالمُ بن سليمان بن سالم بن عُديم البهلاّني (ت ١٤٠٣هـ) بتاريخ ٦ جمادى الأولى ١٣٦٨هـ، وصَدَرَهَا الشَّيْخُ عبد الله بن علي الخليلي بخطبةٍ كتبها بقلمه يوم ١٤ شوال سنة ١٣٦٨هـ، وبعثها هديةً إلى الشَّيْخِ أبي إسحاق بمصر. وبقيتُ في مكتبة أبي إسحاق بعد وفاته، حتى آلتُ إلى خزانة تلميذه الشَّيْخِ أحمد بن حمد الخليلي بعمّان، وهي محفوظةٌ بها الآن تحت رقم ٤١٤.

أَسْأَلُ اللهَ التَّوْفِيقَ. وَأَشْكُرُ كُلَّ مَنْ كَانَ عَوْنًا فِي طَبَاعَةِ الْكِتَابِ ومراجعتَه.

سَلَامَةُ بْنُ مُبَارَكٍ بنِ حَمْدٍ السَّيْبَانِي

الجمعة ٢١ المحرم ١٤٣٦هـ

١٤ نوفمبر ٢٠١٤م^(٢)

^(٢) سبق نشر هذه الجوهرة نشرةً ورقيةً في ذاكرة عُمان سنة ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

خطبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 ما نستفيد من بركاته ونورا في العبادات والصلوات والسلام على
 محيى روح الخليفة وظهر سر الحقيقة فاموس العناية وقاموس الهداية محمد بن
 العربي الاميني وعلى رأسه وصحبه والتابعين " اما بعد " فلما كان القلم
 العربي سدا لا يمداد البيا واللسان لا يثني سباقا لم يمدان وان للديانة
 والسياسة القرآنية شانا جليا في جمع كلمة الحق المبين وتوطيد اساس الملكين
 وان التواخي والجمود والتبسط والعقد عما هو مصلح لذكر الانسان العظيم والحق المبرور
 غير محجوب بمتجهم ولا مدرك منسود والمسألة ان يدعى سواهم الحديث حريه
 خاطر من يدركه المقام الخطر والوقوف على عقل يترا علم عزيز فادياه كما هو حريه من
 البسيطة بساطها ولا طار من الارض من عليها سوا قالم لا يرى ايدائه وتو قالم
 يعقب باءه من خبيثه منه ما تكثر طرق المراج من ابرار ومن حقيقة في ايمان خيال
 مجازة يا رجال الخبيثه السخية يا حاة يرضونها يا شاعرو شيئا بل اني املككم البيضاء
 لسانا تخضع لبيته العوالم وتدل لغزته صفا الكائنات وتخدمه كرسيا
 من علمها صاغرة النفس اعنته الا نف ما اقمتم فيها امره وحافظتم عليها سر
 وجهها وجانبتم بواهب وغادرتهم من انما تفادى قائلها ولا تشارخوا ففقدوا
 وتدهر حكمهم وقار والاعين بالمعروف واكننا هين عن الكبر وقار اصبروا صابرا
 ولا بطوا اتقوا اسر وقار واجاهدوا بامثالكم وانفسكم في سبيل الله وقار ان
 الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وكثيرا ما يعقلها الا العالمون يا اهل

يا حيا المنة بالمنة المحتا عليه الصلاة والسلام ان من كان له القرآن
 دليلا والعقل هاديا فبا الحري ان لا يضل السبيل ولا يغوي بالمنة المختار
 اليك المتكاثرة حتى تترقى المقابر فنامية لقمته سهلة للجانح ومفيدة سائلة
 للاكل وانتم سالفون هون لا تدرون ما وراءكم يتحدى الرجال منكم اخاه الي
 يرون على قفاه ليوثه فيما يحسب انه فاجح منه كلا وانضم باد النواجر سرورا
 بامرهم عدا طغان ^{الله} ويحيا نياحه للثوب يغلكم بالملاهي والفتنات واليهام
 يستمتع اكرانات فداكم الذباست تحت النقاير والوقوف الفايض خلف
 الغائب فاستغل دينكم بالدينه ورحم اموركم بالرزية فاتيكم بالضروري
 ودين الله منبذ الفراع وحكمه مبدوز الفراع اذ اعصا في مرفوف سلطان عليه
 من لا يعنى فارجعوا الي شريفته عليه الصلاة والسلام فاستلهم مجدوها
 عذبة اليك يا فة الامار دانية القطوف غيرة متقة الي سايه عرها لا تحتج
 الي تدبر سواها حكمة الياني واضحة المعاني جنيبة الاصول مبينة منهاج
 الاصول وتوكلت بها القنايرة الربانية وحفظتها الرعاية الرحانية في الروح
 والروحان وفي القلب والجثمان وتوفي بما قد ملاهم الدون من عالم صلى الله عليه
 وسلم دليلا والها والسا لكن سلك السادة النظام شاهدي دليلا
 فكم مقام يعجز الكون عن حيا لفته درك وتقف العقل عن بلوغ حقيقته ويصعب
 اللسان عن وصف ماهيته عجزا ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا اما بانفسهم
 فاحذر احذر يا عبد الله والاياد الاياب الي الله ههنا قولا ولا يقف الله
 وكم اجمعين واصلة ولا علم على رسله النبي الامين ولا حول ولا قوة الا بالله
 العلي العظيم
 ان الله يعلم من يشهد اعبدا لله على عبد الله اخليك يومع انوال

جوهرة النظام

لمنشئها الشيخ الإمام الأكمل عبد الله

بن علي بن عبد الله بن سعيد بن

خلفان بن أحمد الخليلي

حفظه الله

آمين

م

سنة الله الرحمن الرحيم

حمداً وصلاته وسلاماً

هذه منظومة من انشاء شيخنا الهمام الباسل الكمي حائز قصبة السبق
في هذا العصر سحر بيانته وكلامه بلاغته تشهد له بذلك قصائد الغرر التي
ما وثقت في مجلس عليّ اودبني الا واستعبدت طرباً وشوقاً الى مثليها
من بنات الافكار وعرائس الاشكار. ومما احب ان يقدمه هدية الى
العالم لاجل الشيخ ابي اسحاق ابراهيم اطفيس الجزازي نزيل مصر القاهر هذه
قصيدة الغراء واليتيمة العصماء صولة ودادية ومحبة رقيقة رقت تحت
باغتفاء نسجها الفقير سالم بن سليمان بن سالم بن عديته البهلاء في الرواحي وهامني

اليك فقد اقدمت عزمي مشتمداً	الخطبة تسمو الى المجد مظهرا
الى موقف يعنونه النجوم ساجداً	وتخط عن علياه شاححة الذرى
الى مصدر الحق والصدق انيسست	وعائمه حتى علا فتصعد دراً
فلله نفسي ما اعز من مرامها	ولله قضى ما اجل واكبراً
على انني من سوء نفسي وكيدها	برئى ولكني اقول مذكراً
لك الله انا زكي الفتي مثل فعله	وذو الفضل لا يرضى الدنيا متجراً
تجشمت امرأ طاماً رمت شئره	فاعبى وكر الفقه فتنفراً

لعمرك ما كان العلم لولا ما دعيا الى الله داع في الانام وبشرا
اليكم خذوا عنى فصائح جمة يشيد لها صرخ الرضا من شد برا
خذوا من معناها بالخط مقالة تدير كؤوس الحب شمد او كوثرا
خذوا من لطيف السحر معنى خياله يفيد اخا الذوق السليم تبصرا
بنفوح نسكى الختام ركبتلا بخير صلاة مع سلام تكثرلا
على المصطفى والآل والصحب مادعا الى الله داع في الانام مشهورا

٣٥٤

تمت هذه القصيدة الغبراء المستنيرة لهم المسلمين فما أجدرهم
أن تدعى بالنهضة الإسلامية والجوهرية النظامية لما انشغلت عليه
من اعزاز الاسلام ورفعته ومن سحر البيان واعتقه جزى الله ناطقها
خير جزاء وعامله بالحسنى ولقاءه مبتغاه في المنى فقد تمت وصح
وحقق ودعا « **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي**
مِنَ الْمُسْلِمِينَ »

لَا مِثْرَ الْحِكْمِ

« هي آية »

خل الهوى العواصم لا ومع التقي فهو المرام وصولا
واظم اليك مكارم الاخلاق في ذات المهيمن تبلغ المأمولا
فاذا الكرم ما فاض عوراه سترت تجد اذا همت زميلا
واذا الصديق ابت جملك قاطعا حقد افكن يا ابن الكرام وصولا

عوراء الكلام معيبة

❖ ١٣ ❖

وَسَلِّ الْمِيْمَنَ عَنِّي فَمَا لَمْ يَثْبُتْ
أَخْلَصْ لَهُ التَّقْوَى وَلَا تَعْبًا يَخْصِمُ يَثْبُتْ
فَمَا الْكَرِيمَ وَلِيَّ يَخْيِيبُ لَدَيْهِ عِبْدٌ يُقْنِتْ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْدَى وَجْدِي مَسْنِتْ
ثُمَّ الصَّلَاةُ مَعَ السَّلَاةِ مَ بَغَايَةِ لَا تَنْفَعُ
أَبْدًا عَلَى الْإِنْتَارِ مَنْ يَهْدِي السَّبِيلَ وَيَنْفَعُ
وَالْأَلَّ وَالْأَصْدَاجَ مَنْ هَمَّ لِلْمَكَارِمِ اثْبَتُوا
وَلَقَدْ أَبْعَدَهُ مَا نَشُدَا فَوْقَ النُّصُوصِ مَضُوتْ

بسم الله تعالى وعونه قد تم ما طلب بسخه من هذه المنظومات البهية وما هي الأغراض
الغرض تسمو على نفاش الدرر وكم له من المبتكرات المفيدة المثلثة نظميه
مما يدل على أن القلم طوع ببنائه والمعاني منقادة لسجري بيانه والله يرزق
من يشاء وذلك بقا ربخ سادس جمادى الاولى ١٣٦٨ سنة بقلم الفقير بسلم سليمان

خُطْبَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَلْهَمَنَا مِنَ الرُّشْدِ مَا نَحْمَدُ بِهِ مَغَبَّةَ السُّرَى، وَيَسِّرَ
لَنَا مِنَ الْإِيمَانِ مَا نَسْتَمْسِكُ بِهِ بِأَوْثِقِ الْعُرَى؛ مُحَمَّدًا يَفِيءُ بِمَا اللَّهُ أَهْلُهُ.
والصلاة والسلام على مَحْيَا رُوحِ الْخَلِيقَةِ، وَمَظْهَرِ سِرِّ الْحَقِيقَةِ، نَامُوسِ
العناية، وقاموس الهداية، مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
والتابعين.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَلَمَّا كَانَ الْقَلَمُ الْعَرَبِيُّ سَيَّالًا بِمَدَادِ الْبَيَانِ، وَاللِّسَانُ الْأَدَبِيُّ
سَبَّاقًا بِكُلِّ مَيْدَانٍ، وَأَنَّ لِلدِّيَانَةِ الْمَحْمَدِيَةِ وَالسِّيَاسَةِ الْقُرْآنِيَةِ شَأْنًا جَلِيلًا فِي
جَمْعِ كَلِمَةِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَتَوْطِيدِ أُسَاسِهِ الْمَكِينِ، وَأَنَّ التَّرَاخِيَّ وَالْجُمُودَ وَالتَّثَبُّطَ
وَالْقُعُودَ عَمَّا هُوَ مُصْلِحٌ لَذَلِكَ الشَّأْنِ الْعَظِيمِ وَالْخَلْقِ الْكَرِيمِ غَيْرُ مُخْرِجٍ
نَتِيجَةً وَلَا مُدْرِكٍ مَنْشُودَةً، وَ«الْمُسْلِمُونَ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ»... الْحَدِيثُ (٣)؛
حَرَّكَنِي خَاطِرٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ الْخَطِيرِ، مَا لَوْ وَقَفَ مِنِّي عَلَى عَقْلِ نَيْرٍ وَعِلْمٍ

(٣) يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلمون تنكأ دماؤهم، وأموالهم بينهم حرام، وهم يدُّ على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويردُّ عليهم أقصاهم، ولا يُقتل ذو عهد في عهده، ولا يُقتل مُسلمٌ بكافرٍ، ولا يرثُ الكافرُ المسلمَ ولا المسلمُ الكافرَ».

غَزِيرٍ فَأَدْيَاهُ كَمَا هُوَ لَحَرَكَ مِنَ الْبَسِيطَةِ بِسَاطِهَا، وَلَأَطَارَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْ عَلَيْهَا؛ شَوْقًا لِمَا يَرَى مِنْ إِبْدَائِهِ، وَتَوْقًا لِمَا يَعْقُبُ يَاءَ ثَنَائِهِ، فَحَسْبِي مِنْهُ مَا تَمَكَّنَ طَوْقُ الْيَرَاعِ مِنْ إِبْرَازِهِ، وَمِنْ حَقِيقَتِهِ فِي إِجْازِهِ خِيَالُ مَجَازِهِ.

يَا رِجَالَ الْحَنِيفَةِ السَّمْحَةِ، يَا حُمَاهَ بَيَضَتِهَا، يَا بُنَاةَ عُرُوشِهَا، إِنَّ لِمِلَّتِكُمُ الْبِيضَاءِ لَشَأْنًا تَخْضَعُ لَهُيْبَتِهِ رِقَابُ الْعَوَالِمِ، وَتَذِلُّ لِعِزَّتِهِ صِعَابُ الْكَائِنَاتِ، وَتَخْدُمُهُ الدُّنْيَا بِمَنْ عَلَيْهَا صَاغِرَةَ النَّفْسِ، رَاغِمَةَ الْأَنْفِ، مَا رَاقَبْتُمْ فِيهَا أَوَامِرَ اللَّهِ، وَحَافَظْتُمْ عَلَيْهَا سِرًّا وَجَهْرًا، وَجَانَبْتُمْ نَوَاهِيهِ وَغَادَرْتُمْ مَنَازِلَهَا قَفْرًا.

فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال/ ٤٦]، وَقَالَ: ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة/ ١١٢]، وَقَالَ: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران/ ٢٠٠]، وَقَالَ: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة/ ٤١]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل/ ١٢٨]، وَكَثِيرًا مَا: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت/ ٤٣].

يَا رِجَالَ الْمِلَّةِ؛ يَا أُمَّةَ الْمُخْتَارِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ إِنَّ مَنْ كَانَ لَهُ الْقُرْآنُ دَلِيلًا وَالْعَقْلُ هَادِيًا فَبِالْحَرِيِّ أَنْ لَا يَضِلَّ السَّبِيلَ وَلَا يَغْوَى.

يَا أُمَّةَ الْمُخْتَارِ ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر/ ١، ٢]، فَأَمْسَيْتُمْ لُقْمَةً سَهْلَةً لِلْجَائِعِ، وَمُضْغَةً سَائِغَةً لِلْآكِلِ، وَأَنْتُمْ سَاهُونَ لَاهُونَ،

لَا تَدْرُونَ مَا وَرَاءَكُمْ، يَتَحَدَّى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ، كَيْ يَرُدَّهُ عَلَى قَفَاهُ، لِيُوقِعَهُ فِيمَا يَحْسِبُ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُ. كَلَّا؛ فَالْخَصْمُ بِإِذِ التَّوَاجِدِ سُرُورًا بِأَمْرِهِمَا، يَمُدُّ أَظْفَارَهُ لِلظَّفَرِ، وَيُجِدُّ أُنْيَابَهُ لِلثَّوْبِ، يَشْغَلُكُمْ بِالْمَلَاهِي وَالْقَيْنَاتِ، وَيُلْهِيكُمْ بِاسْتِمَاعِ الْخُرَافَاتِ، قَدْ أَكْمَنَ الدَّسَائِسُ تَحْتَ النِّقَاصِ، وَأَوْقَفَ الْغَرَائِبُ خَلْفَ الرِّغَائِبِ، فَأَشْغَلَ دِينَكُمْ بِالْدُنْيَةِ، وَرَمَى أَمْرَكُمْ بِالرِّزْيَةِ، فَأَنَّى لَكُمْ التَّصَرُّ وَمَتَى؟ وَدَيْنُ اللَّهِ مَنبُذُ الْعَرَا، وَحُكْمُهُ مَجْدُودُ الْعُرَى، «إِذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سَلَطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي»^(١).

فارجعوا إلى شريعته عليه الصلاة والسلام؛ تَجِدُوهَا عَذْبَةً الْمِيَاهِ، يَانِعَةً الْأَثْمَارِ، دَانِيَةً الْقُطُوفِ، غَيْرَ مُفْتَقِرَةٍ إِلَى سِيَاسَةٍ غَيْرِهَا، وَلَا مُحْتَاجَةً إِلَى تَدْبِيرٍ سِوَاهَا، مُحْكَمَةً الْمَبَانِي، وَاضِحَةً الْمَعَانِي، مُتِينَةَ الْأُصُولِ، مُبَيِّنَةً مِنْهَاجَ الْوُصُولِ إِلَى الرَّبِّ الْوُصُولِ، تَنَزَّلَتْ بِهَا الْعَنَاءُ الرَّبَّانِيَّةُ، وَحَفِظَتْهَا الرَّعَايَةُ الرَّحْمَانِيَّةُ، فَهِيَ الرُّوحُ وَالرَّيْحَانُ، وَهِيَ الْقَلْبُ وَالْجُثْمَانُ.

وكفى بما قد ملأ فَمَ الْكَوْنِ مِنْ حَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالسَّالِكِينَ سَبِيلَهُ مِنَ السَّادَةِ الْعِظَامِ شَاهِدًا وَدَلِيلًا، فَتَمَّ مَقَامُ يَعْجِزِ الْكَوْنِ عَنْ مَبَالِغِ

^(١) لَمْ أَجِدْهُ فِي كِتَابِ الْحَدِيثِ. وَرَأَيْتُ فِي كِتَابِ (الْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي) لِلْبَيْهَقِيِّ الْمَحْدَثِ مَا نَصَّهُ: «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ اللَّهِ تَعَالَى: (إِذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سَلَطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي)». انظر: المحاسن والمساوي؛ تصنيف: إبراهيم بن محمد البيهقي. دون تاريخ. دار صادر- بيروت/ لبنان. ص ٥٠٠.

كُنْهِهِ دَرْكًا، وَيَقِفُ الْعَقْلُ عَنْ بُلُوغِ حَقِيقَتِهِ، وَيَصْمُتُ اللِّسَانُ عَنْ وَصْفِ مَاهِيَّتِهِ عَجْزًا.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد / ١١]،
 فالْحَذَرَ الْحَذَرَ يَا عِبَادَ اللَّهِ، وَالْإِيَابَ الْإِيَابَ إِلَى اللَّهِ. هَذَا قَوْلِي وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
 لِي وَلَكُمْ أَجْمَعِينَ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
 إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

انتهت بقلم مُنْشِئِهَا

عبد الله بن علي بن عبد الله الخليلي بيده

يوم ١٤ شوال سنة ١٣٦٨هـ

جَوْهَرَةُ النَّظَامِ

لِمُنْشِئِهَا الشَّيْخِ الْهَمَامِ الْأَكْمَلِ

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ خَلْفَانَ بْنِ أَحْمَدَ الْخَلِيلِيِّ^(٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدًا وَصَلَاةً وَسَلَامًا

إِلَيْكَ فَقَدْ أَقْدَمْتُ عَزْمِي مُشْمَرًا إِلَى خِطَّةٍ تَسْمُو إِلَى الْمَجْدِ مَظْهَرًا
إِلَى مَوْقِفٍ يَغْنُو لَهُ التَّجَمُّ سَاجِدًا وَتَنْحُطُّ عَنْ عَلَيْهِ شَاخِئَةُ الذَّرَى
إِلَى مَصْدَرٍ بِالْحَقِّ وَالصَّدْقِ أُسِّسَتْ دَعَائِمُهُ حَتَّى عَلا فَتَصَدَّرَا
فَلِلَّهِ نَفْسِي؛ مَا أَعَزَّ مَرَامَهَا! وَلِلَّهِ قَصْدِي؛ مَا أَجَلَّ وَأَكْبَرَا!

(٥) تتصدرها في أصل المخطوط العبارة التالية بقلم ناسخها: «هذه منظومة من إنشاء شيخنا الهمام الباسل الكبي، حائزِ قَصَبَةِ السَّبْقِ في هذا العصر بسُحْرِ بيانه وكمال بلاغته، تشهد له بذلك قصائده الغُرُّ التي ما قُرِأتْ في مجلسٍ علميٍّ أو أدبيٍّ إلا واستُعِيدَتْ؛ طَرَبًا وشوقًا إلى مثلها من بنات الأفكار وعرائس الابتكار. وما أَحَبَّ أَنْ يُقَدِّمَهُ هَدِيَّةً إِلَى الْعَالَمِ الْأَجَلِّ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ أَطْفَيْشَ الْجَزَائِرِيِّ نَزِيلِ مِصْرَ الْقَاهِرَةِ؛ هذه القصيدة الغراء، واليَتِيْمَةُ الْعَصْمَاءُ، صَلَّاهُ وَدَادِيَهُ وَحَبَّهُ دِينِيَّةً. وقد تَكَفَّلَ باعْتِنَاءَ نَسْخِهَا الْفَقِيرُ سَالِمُ بْنُ سَلِيحَانَ بْنِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الْمُبَلَّغِيِّ الرَّوَاحِيَّ».

بَرِيءٌ وَلَكِنِّي أَقُولُ مُذَكِّرًا
 وَذُو الْفَضْلِ لَا يَرْضَى الدَّنِيَّةَ مَنَجَرًا
 فَأَعْيَى وَكَمْ أَلْفَتْهُ فَتَنَفَّرَا
 بِرَحْمَتِهِ - أَوْرَدْتُ فِكْرِي فَأَصْدَرَا
 نُجُومٌ بِالْأَلْفَاظِ تَنْظُمُ جَوْهَرَا
 وَمَا الْفِعْلُ أَوْ يَسْمُو مَقَامًا وَيَكْبُرَا
 إِذَا ابْتَدَرْتُ وَصَفًا وَذَاتًا وَمُخْبَرَا
 وَجَشَّعْتُهَا مَا لَوْ تَجَلَّى لَحِيرَا
 وَعُدْتُ وَعَيْنِي مَا تُعَايِنُ قَيْصَرَا
 عُدَايَ وَلَوْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا
 وَالزُّمُهَا مَا لَا يَلْدُ بِهِ الْكَرَى
 فَلَمْ أَحْصِهَا إِلَّا مِنْ اللَّهِ فَاَنْظُرَا
 إِلَهِي وَإِلَّا عُدْتُ مِنْ ذَاكَ أَصْغَرَا
 وَيَقْعُدُ عَنْهُ الْكَوْنُ عَجَزًا مُقْصَرَا
 سَمْتُ بِي هِمَاتٌ تَفُلُّ الْمَذْكَرَا
 لَصَاقَ بِهِ وَسْعُ الْفَضَا وَتَعَذَّرَا
 فَكُنْتُ بِمَا رُمْتُ الزَّعِيمَ الْمُوقَرَا

عَلَى أَنِّي مِنْ سُوءِ نَفْسِي وَكَيْدِهَا
 لَكَ اللَّهُ مَا رَزَى الْفَتَى مِثْلُ فِعْلِهِ
 تَجَشَّعْتُ أَمْرًا طَالَمَا رُمْتُ نَشْرَهُ
 وَلَكِنِّي - وَاللَّهُ يَخْتَصُّ مَنْ يَشَا
 فَجِئْتُ بِهِ مَعْنَى كَأَنَّ فُصُولَهُ
 وَمَا الْقَوْلُ أَوْ يَزْكُو مِنَ الْفِعْلِ صِدْقُهُ
 وَلِلْمَرْءِ سِيمَا يَعْرِفُ الْعَقْلُ كُنْهَهَا
 لَقَدْ صُنْتُ نَفْسِي عَنْ مَظِنَّةٍ سَيِّئِ
 فَقُمْتُ وَلِي مِنْ نَيْرِ الْعَقْلِ صَاحِبِ
 أَرْوَمُ بِنَفْسِي هِمَّةً لَا يَرُومُهَا
 وَأُكْرِمُهَا كَيْ لَا يُدْنَسَ عِرْضُهَا
 إِلَيْكَ فَمَا مِنْ أَنْعَمٍ بِي أَعَدُّهَا
 لَكَ الْحَمْدُ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَرَحِمْتَنِي
 أَرَى الْحَقَّ يَعْلُو كُلَّ عَالٍ مُقَامُهُ
 إِلَيْكَ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدًا
 بَدَا لِي مِنْ مَعْنَاكَ مَا لَوْ شَرَحْتُهُ
 صَدَعْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ رَوْمًا لِذَاتِهِ

وَنُورٌ بِهِ أَصْبَحَتْ مَعْنَى وَمَظْهَرًا
 بِسَيِّدِهَا كَأَنْتَ بِذَلِكَ أَجْدَرًا
 لَهُ أَخْلَصْتَ أَضْحَى لَهَا الْكَوْنُ مُكْبِرًا
 وَبِالْعَدْلِ مَغْبُوطًا وَبِالْبِشْرِ مُسْفِرًا
 جَلِيٌّ وَفِي سِرِّ الْحَقِيقَةِ قَدْ سَرَى
 وَهَمَّتْهُ وَالْحِدُّ وَالسَّيْرُ وَالسُّرَى
 قَوِيْمٌ بِهِ الدُّنْيَا أَضَاءَتْ كَمَا تَرَى
 وَمَا حَادَ عَنْ هَدْيِ النَّبِيِّ تَكْبُرًا
 عَنِ الْحَقِّ أَقْوَامٌ وَضَلَّتْ تَحْيُرًا
 قُبَيْلَ الرَّدَى فَارُؤُا جَزَاءً مُؤَفَّرًا
 وَصَفَوْتُهَا دِينًا وَحُكْمًا مُطَهَّرًا
 وَأَفْنَوْا عَلَيْهَا الْعُمَرَ وَرَدًّا وَمَصْدَرًا
 تُبَيِّنُ عَنِ السَّرِّ الَّذِي كَانَ مُضْمَرًا
 عَلَى حَالَةٍ تَسْمُو عَلَى شَامِخِ الدُّرَى
 يَهُونُ عَلَى مَنْ حَالَفَ الْحِدَّ مَعْبَرًا
 أَضَاءَ بِهَا بَدْرُ الْجَلَالِ وَأَسْفَرَا
 بَلَّغْتُمْ وَسُدُّتُمْ مَنْ أَقَرَّ وَأَنْكَرَا

وَلِلَّهِ سِرٌّ أَنْتَ لَا شَكَّ سِرُّهُ
 إِلَى أُمَّةٍ لَوْ عَمَّرَ اللَّهُ أُمَّةً
 وَلَوْ أَنَّهَا لَمَّا اسْتَظَلَّتْ بِعَدْلِهِ
 إِلَى عَالَمٍ مَا زَالَ فِي الْأَمْنِ رَاتِعًا
 إِلَى عَالَمٍ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ سِرُّهُ
 إِلَى عَالَمٍ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ سَعِيُّهُ
 إِلَى عَالَمٍ مِنْ عَهْدِ أَحْمَدَ نَهْجُهُ
 إِلَى عَالَمٍ مَا زَاغَ عَنْ شِرْعَةِ الْهُدَى
 إِلَى عَالَمٍ مَا ضَلَّ لَمَّا تَفَرَّقَتْ
 إِلَى مَعْشَرٍ لَوْ فَازَ بِالْخُلْدِ مَعْشَرُ
 إِلَى مَعْشَرٍ هُمْ فِي الْبَرِيَّةِ خَيْرُهَا
 إِلَى مَعْشَرٍ سَارُوا عَلَى خِطَّةِ الْهُدَى
 إِلَيْكُمْ رِجَالُ الْإِسْتِقَامَةِ لَهْجَهُ
 أَقُولُ وَنَفْسِي لَا تَزَالُ حَرِيصَةً
 هِيَ الْغَايَةُ الْمُوَمَى إِلَيْهَا وَنَيْلُهَا
 هِيَ الدَّارَةُ الْعَلِيَاءُ وَالْهَالَةُ الَّتِي
 رِجَالُ الْهُدَى إِنْ رُمْتُمْ ذَلِكَ الْمَدَى

بِحُجْرَتِهَا كُنْتُمْ عَلَى أَوْثَقِ الْعُرَى
 بِهِ وَعَرِيقُ الْمَجْدِ لَنْ يَتَغَيَّرَا
 لَدَيْهِ وَأَعْلَاهُ سُمُوءًا وَمَفْخَرَا
 وَنَحْدَتُكُمْ مَا كَانَ فِيكُمْ مُظْفَرَا
 وَسَطَوْتُكُمْ مَا أَنْكَرَ الْحَقُّ مُنْكَرَا
 لَمَّا أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ فِيكُمْ مُفَسَّرَا
 وَنِعْمَتُهُ كُنْتُمْ أَصْلَ وَأَخْسَرَا
 بَكُمْ وَلَكُمْ مَا رُضْتُمْ الْكَوْنُ أَشْقَرَا
 وَأَجْرِيْتُمْ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ كَمَا جَرَى
 وَبَيْنَ ضَعِيفِ الْقَوْمِ كِي يَتَوَقَّرَا
 خِلَافَ الْهُدَى لَمَّا رَأَى السَّيْفُ أَحْمَرَا
 أَتَتْهُ يَمِينُ الْحَقِّ مِنْكُمْ فَحَقَّرَا
 بِنَعْيٍ وَطِئْتُمْ هَامَهُ فَتَكَسَّرَا
 رَأَى الْحِدَّ فِي أَحْوَالِكُمْ فَتَأَخَّرَا
 صَدَعْتُمْ بِهَا لَمَّا سَوَاكُمْ تَعَدَّرَا
 وَمُتَّخِذٍ غَيْرِ الْهِدَايَةِ مَتَجَرَا
 فَأَصْبَحَ دَكًّا طُورُهُمْ وَاهِي الدَّرَى

لَكُمْ أَسْوَةٌ فِي الْمِصْطَفَى إِنْ أَخَذْتُمْ
 لَكُمْ سِيرَةً مَرْضِيَّةً مُنْذُ عَهْدِكُمْ
 لَكُمْ مِنْ مَقَامِ الْأَكْرَمِينَ أَجَلُهُ
 أُولِي الْحَقِّ إِنَّ الْحَقَّ لَوْلَا سُيُوفُكُمْ
 أُولِي الْحَقِّ لَوْلَا هُمُكُمْ وَإِبَاؤُكُمْ
 أُولِي الْحَقِّ لَوْلَمْ يَعْلَمْ اللَّهُ فَضْلَكُمْ
 أُولِي الْحَقِّ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ فِيكُمْ
 أُولِي الْحَقِّ لَوْلَا لُطْفُهُ وَاصْطِفَاؤُهُ
 أَقَمْتُمْ حُدُودَ اللَّهِ وَهِيَ عَظِيمَةٌ
 فَسَاوَيْتُمْ بَيْنَ الْقَوِيِّ لِيَنْثَنِي
 فَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ ذَلَّ إِذْ ظَلَّ بَاغِيَا
 وَكَمْ مِنْ عَظِيمٍ حِينَ ضَلَّ وَمَا ارْعَوَى
 وَكَمْ مِنْ أَخِي جُنْدٍ إِذَا سَلَّ سَيْفُهُ
 وَكَمْ مِنْ أَخِي ظُلِمَ عُتْلٍ مَنَافِقٍ
 وَكَمْ مِنْ أُمُورٍ يَحْمَدُ اللَّهُ غِبَّهَا
 عَجِبْتُ لِمُخْتَارٍ عَنِ الْحَقِّ مِنْهَجَا
 كَقَوْمِ ابْنِ عِمْرَانَ الْأَلَى ضَلَّ سَعْيُهُمْ

وَبَيْنَكُمْ الْوَحْيُ الْوَحِيدُ مُسْطَرًّا!
يَفِي بِالْيَمِ الدُّلَّ لَمَّا تَيْسَرًا!
نَجَاحٌ؟ أَمْ الْعَقْلُ الثَّمِينُ تَحْيَرًا!
أَمْ الْعَقْلُ عَنْ تِلْكَ السِّيَاسَةِ قَصْرًا!
أَمْ النَّفْسُ تَبْغِي فِي إِهَانَتِهِ الثَّرَى!
أَمْ الْوَهْنُ مِنْ نَحْوِ الطَّبِيعَةِ قَدْ سَرَى!
- قُصُورٌ؟ أَمْ الْإِدْرَاكُ أَضْحَى مُقْصَرًا!
- هَوَانٌ؟ أَمْ اللَّؤْمُ الطَّبِيعِيُّ قَدْ عَرَا!
- خَنَاةٌ؟ أَمْ الْإِيمَانُ صَفْوًا تَكْدَرًا!
يَعْدُونَهَا دِينًا نَقِيًّا مُطَهَّرًا
مَنَافِعُ قَامَ السُّؤْلُ فِيهَا مُسْتَرًّا
وَيَسْعُونَ فِي مِيلِ التُّفُوسِ تَسْرًا
وَيَرْعُونَ مَا تَرْعُونَ مَجْدًا وَمَفْخَرًا
فَيَالِكَ أَمْرًا أَبْدَلَ الْبَطْنَ بِالْقَرَا!
وَمَحْتَدٍ عِزٍّ كُنْتُمُوهُ مُؤَخَّرًا
عِظَامًا بِهِمْ عَزَّ الْهُدَى وَتَأَمَّرًا
فَهَلْ عَائِقٌ عَنْ مَجْدِهِمْ عَاقٌ أَوْ طَرَا؟

أَتَسْتَبْدِلُونَ الضَّدَّ بِالْخَيْرِ؟! وَيَحْكُمُ
أَفِي مِصْرَ مَا أُوتِيتُمْ مِنْ طَعَامِكُمْ
أَفِي قَبْضَةٍ لِلْسَّامِرِيِّ مُضِلَّةٍ
أَفِي الدِّينِ مَا فِي الدِّينِ قَطُّ هَوَادَّةٍ
أَفِي الدِّينِ مَا فِي الدِّينِ قَدْ حُ لِقَادِحٍ
أَفِي الدِّينِ مَا فِي الدِّينِ وَهْنٌ وَذَلَّةٌ
أَفِي الدِّينِ مَا فِي الدِّينِ - وَاللَّهُ شَاهِدٌ
أَفِي الدِّينِ مَا فِي الدِّينِ - وَالْوَحْيُ صَادِقٌ
أَفِي الدِّينِ مَا فِي الدِّينِ - وَالْحَقُّ أَبْلَجُ
رَأَيْتُمْ كِتَابِيَّينَ بَثُوا دَعَايَةَ
حَبَائِلُهُمْ شَتَّى وَغَايَةَ جَهْدِهِمْ
يَذُودُونَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ وَحِيَاضِهِمْ
يَرُومُونَ مَا كُنْتُمْ تَرُومُونَ مِنْهُمْ
يَسُودُونَ مَا كُنْتُمْ تَسُودُونَ فِيهِمْ
رَعَى اللَّهُ عَيْصًا أَنْتُمْ الْيَوْمَ فَرْعُهُ
وَأَكْرَمَ آبَاءَ كِرَامًا وَسَادَةً
هُمُ السَّلَفُ السَّامِيُّ سَمَا الْعَرْشِ مَجْدُهُ

يَقِيكُمْ دَهَاها شَرَّ ما اللهُ حَدَرًا
وَمِنْ مُشْرِكٍ رَامَ الشَّقَاقَ تَكَبَّرًا
لَيْمٍ رَأَى نَهَجَ الْهُدَى فَتَكَبَّرًا
يَلِينُ فَإِنْ شَامَ الْمَكِينَ تَنَمَّرًا
إِذَا أَبْصَرَ الْحَقَّ اسْتَخَفَّ فَأَذْبَرًا
يَعِزُّ فَتَى فِيهِ أَخَفَّ وَأَوْقَرًا
بِفَضْلِهِمُ الْقُرْآنُ أَعْرَبَ مُحْضِرًا
بِهِمْ أَوْجَدَ اللهُ الْكَمَالَ مُصَوِّرًا
بِصَوْلَتِكُمْ عَزَّتْ وَأَكْبَرَهَا الْوَرَى
يُقَرُّ لَهَا بِالْفَضْلِ مَنْ ظَلَّ مُنْكَرًا
بِهَا أَصْبَحَ الدِّينُ الْحَنِيفِيُّ أَنْوَرًا
أَبَانَ لِسَانَ الْحَقِّ عَنْهَا وَعَبَّرًا
وَمَصَدَرُهَا لَمَّا غَدَا الْوَرْدُ أَكْذَرًا
إِذَا ما طَرِيقُ الْمُذْنِبِينَ تَوَعَّرًا
إِذَا الْعُرْفُ أَضْحَى فِي سِوَاهَا مُنْكَرًا
وَبالشَّرْعِ يَسْمُو ما عَلا وَتَصَدَّرَا
فَكَمْ مُنْكَرٍ لَمَّا رَأَى الْأَمْرَ كَبَّرَا

بِني الْمَجْدِ ما أَحْرَاكُمْ بِسِيَّاسَةٍ
خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ كُلِّ غَاوٍ مَنَافِقٍ
خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ كُلِّ عَادٍ مُكَابِرٍ
خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ كُلِّ طَاوٍ سَخِيمَةٍ
خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ كُلِّ باغٍ مُعَانِدٍ
ضَعُوا فِي يَدِ اللهِ الْأُمُورَ فَإِنَّمَا
هَلُمُّوا لِتَضُرَّ اللهُ يا خَيْرَ أُمَّةٍ
هَلُمُّوا لِجَمْعِ الشَّمْلِ يا خَيْرَ عُصْبَةٍ
هَلُمُّوا لِإِعْزَازِ الدِّيَانَةِ إِنَّهَا
دِيَانَةُ تَوْحِيدٍ وَحُبِّ وَطَاعَةٍ
هِيَ الْمِلَّةُ الْبِضَاءُ وَالسَّيْرَةُ الَّتِي
هِيَ الْمِلَّةُ الْمَرْضِيَّةُ السَّمْحَةُ الَّتِي
هِيَ الْمِلَّةُ الْمَوْصُوفُ بِالصَّفْوِ وَرُدُّهَا
هِيَ الْمِلَّةُ الْمَوْعُودُ بِالْفَوْزِ قَوْمُهَا
هِيَ الْمِلَّةُ الْمَعْرُوفُ بِالْعُرْفِ أَهْلُهَا
هِيَ الْمِلَّةُ الرَّاسِي عَلَى الشَّرْعِ أُسُّهَا
هِيَ الْمِلَّةُ الرَّاقِي عَلَى الشَّأْوِ شَأْنُهَا

كَمَا طَابَ فِي رَوْضِ الصِّيَانَةِ غُنْصَرَا
 وَمَا كَانَ حَبْلُ اللَّهِ مُنْقَصِمَ الْعُرَى
 وَصُولاً، وَقُرْبُ اللَّهِ مَا كَانَ أَكْبَرَا
 رَزِينَا لِمَلْحُوظِ الْمَرَامِ مُفَسِّرَا
 جَلِيلًا لِمَطْوِي الْحَقِيقَةِ أَنْشَرَا
 يَنْفِيءُ بِمَكْنُونِ الضَّمِيرِ كَمَا انْتَبَرَى
 يُبَيِّنُ حَمِيدَ الْغَيْبِ مُصْطَبِحَ الشَّرَى
 لَوَاقِحُ وَدِّ تَتَرَكُّ الصَّدَقَ أَخْضَرَا
 سَوَارٍ بِهَا الْحُبُّ الْغَرِيزِيُّ قَدْ سَرَى
 وَحَثَّ لِنَصْرِ الدِّينِ كَيْمَا يُوقَرَا
 تُطِيعُوهُ يُبْلَغُكُمْ مَقَامًا مُصَدَّرَا
 يُغَادِرُ مُحْضَرَّ الْمَعَالِمِ أَغْبَرَا
 يُخَلِّفُ إِيوَانَ الصَّلَاحِ مُكَسَّرَا
 إِلَى اللَّهِ، بَاتَ الْكَوْنُ قَسْرًا مُسَخَّرَا
 وَعُرْوَتُهُ التَّوْحِيدُ حُكْمًا فَلَا مِرَا
 إِلَى أُمَمٍ سَادَتْ عَلَى الْأُفُقِ مِنْبَرَا
 وَلَا تَرْكَبُوا ظَهَرَ الْعُتُوِّ تَهَوَّرَا

هِيَ الْمِلَّةُ السَّامِي عَلَى الْعَرْشِ فَرَعُهَا
 هِيَ الْمِلَّةُ الْمَوْصُولُ بِاللَّهِ حَبْلُهَا
 هِيَ الْمِلَّةُ الْمُفْضِي إِلَى اللَّهِ نَهْجُهَا
 إِلَيْكُمْ بَنِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا مُهَذَّبًا
 إِلَيْكُمْ بَنِي الْإِسْلَامِ مَعْنَى مُنْفَحًا
 إِلَيْكُمْ بَنِي الْإِسْلَامِ نَصْحًا مُوَضَّحًا
 إِلَيْكُمْ بَنِي الْإِسْلَامِ رَأْيًا مُسَدَّدًا
 إِلَيْكُمْ بَنِي الْإِسْلَامِ رُشْدًا تَسْوِفُهُ
 إِلَيْكُمْ بَنِي الْإِسْلَامِ نَظْمًا تُجِيدُهُ
 قُصَارَاهُ تَحْرِيطُ عَلَى الْجَمْعِ أُلْفَةً
 فَإِنْ تَنْصُرُوا الدِّيَانَ يَنْصُرْكُمْ وَإِنْ
 دَعُوا بَيْنَكُمْ كَيْدَ التَّعَصُّبِ إِنَّهُ
 دَعُوا بَيْنَكُمْ شَرَّ الْجِدَالِ فَإِنَّهُ
 دَعُوا سَيِّئَ الظَّنِّ الْمُشْتِ وَأَخْلَصُوا
 دَعُوا فَاحِشَ الْإِنْكَارِ فَالَّذِينَ وَاسِعٌ
 دَعُوا السَّبَّ وَالتَّوْبِيخَ وَالْقَدَحَ وَانْظُرُوا
 دَعُوا الْحِفْدَ وَالْغِشَّ الْمُخِلِّينَ بِالْعُلَى

وخلقا لطبع الغير كان ميسرا
 به جمع الله العلوم وقدر
 وخط نجاح بل نجا لمن درى
 ولا تعترى جنبه شائبه افترا
 وقام به بين الأنام مبشرا
 وشدت لنا الإسلام جسرا ومعبرا
 من الله يوحىها الأمين مخبرا
 وأنهلتننا من مشرب الحب مسكرا
 فكانوا بفضل السبق بالفضل أجدر
 لأزسي دعامات الجلال وأعمرا
 لأشهد آثار الكرام وأنظرا
 تسامت لأدري ما عليها وأخبرا
 به أخطر الأهوال غيل بأخطرا
 من الخطب أغياه المنار تحيرا
 من الخصم لم يبرح ذليلا محقرا
 أضيع، ومن لم يألِف الحزم ثبرا
 ليُلقي علينا هفوة فيحررا

دعوا شيمه كانت قديما لغيركم
 عليكم بمكنون الكتاب فائما
 عليكم به فهو الصراط استقامة
 كتاب عزيز لا يدانيه باطل
 كتاب به جاء النبي محمد
 رسول الهدى أنقذتنا من ضلالة
 رسول الهدى أهديتنا بهداية
 فأوردتنا من مورد الوحي علة
 وقد ورد الأصحاب والال قبلنا
 خليي عوجا بي على المجد ساعة
 خليي مرا بي على ساحة الوفا
 خليي سيرا بي على الخطية التي
 خليي من لم يركب الصعب سالكا
 خليي من لم يمتط الهول مركبا
 خليي من لم يشرب الدّم سائغا
 خليي من لم يصحب الحزم عمره
 خليي ما للدهر ألقى مسامعا

كَأَنَّا وَلَمْ نَبْرَحْ عَلَيْهِ صَوَاعِقًا
 كَأَنَّا وَمَا زِلْنَا عَلَيْهِ بَلِيَّةً
 كَأَنَّا لَطَيٌّ فِي لُبِّهِ وَضَمِيرِهِ
 رُوَيْدَكَ يَا حَرْبَ الْكَرَامِ إِلَى مَتَى
 أَرْشَنَّاكَ إِحْسَانًا وَجُودًا نِعْمَةً
 أَمْحَسَبُ أَنَّ السَّمَّ مِنْ نَابِ صَلِّهِ
 رَأَيْتَ كَرِيمَ الطَّبْعِ مِنَّا وَحِلْمَنَا
 رُوَيْدَكَ إِنَّ الْحَرَّ لَا يَشْرَبُ الْقَدَى
 رُوَيْدَكَ إِنَّ الْحَرَّ لَا يَحْمِلُ الْأَذَى
 رُوَيْدَكَ إِنَّ الْحَرَّ لَا يَكْرَهُ الرَّدَى
 رُوَيْدَكَ إِنَّ اللَّهَمَّ لِلْحَرِّ قَاتِلٌ
 بُنَاةُ الْعُلَى هَذِي الْعُلَى تَبْتَغِيكُمْ
 رَأَتْ أَنَّ ذَاكَ الْعَرْشَ لَا يَسْتَطِيعُهُ
 فَلَا تَكْذِبُوهَا الظَّنَّ وَابْنُوا عُرُوشَهَا
 وَمَنْ لِي وَلِلْعَلْيَاءِ؟ وَالْعِلْمُ رُكْنُهُ
 لَعَمْرُكَ مَا كَالْعِلْمِ لِلْجِيلِ مُصْلِحٌ
 لَعَمْرُكَ مَا كَالْعِلْمِ لِلنَّاسِ مُبْلِغٌ

مُجَرَّعُهُ الْغُسْلِينَ إِنَّ جَارَ أَوْ بَرَى
 وَمَرَعَى وَخِيَمًا نَاقِعَ السَّمِّ أَحْمَرَا
 فَإِنْ شَاءَ بَرْدًا بَلَّهْ فَتَسْعَرَا
 تَسُوءُ فَنَعْفُو أَوْ نُسيءُ فَنَغْفِرَا؟
 فَأَصْبَحْتَ بِالْإِحْسَانِ وَالْجُودِ أَكْفَرَا
 عَفَا؟ أَوْ بِأَنَّ الدَّاءَ مِنْهُ تَغْيِيرَا؟
 فَأَذْبَرْتَ تَمْشِي تَائِهًا مُتَبَخِّرَا
 وَلَا يَخْتَسِي الْمَكْرُوهَ لَوْ كَانَ سُكْرَا
 وَلَا يَرْضَى الضَّيْمَ الْمُضِيرَ إِذَا اعْتَرَى
 فَلَوْ يَبِيعَ بِالنَّفْسِ السَّعَادَةُ لَاشْتَرَى
 إِذَا سَامَهُ خَسَفًا أَخُو اللُّؤْمِ وَازْدَرَى
 لِإِعْلَاءِ عَرْشِ الْتَكَاثُرِ دُمْرَا
 سِوَاكُمْ بِنَاءً لَوْ أَرَادَ وَشَمْرَا
 كَمَا قَدْ بَنَى جُنَّ ابْنِ دَاوُدَ تَدْمُرَا
 دَرِيسَ طَحَاهُ الْجَهْلُ حَتَّى تَدْمُرَا!
 وَلَا كَفَسَادِ الْجَهْلِ إِنْ صَرَّ أَوْ صَرَا
 أَمَانِي لَا تَرْضَى لِهَيْكَلِهَا الثَّرَى

لَعَمْرُكَ مَا كَالِعِلْمِ لِلْمَجْدِ سَلَّمَ
لَعَمْرُكَ مَا كَالِعِلْمِ لَوْلَاهُ لَمْ يَسْغُ
لَعَمْرُكَ مَا كَالِعِلْمِ لَوْلَاهُ مَا أُتِيَ
لَعَمْرُكَ مَا كَالِعِلْمِ لَوْلَاهُ مَا غَدَا
لَعَمْرُكَ مَا كَالِعِلْمِ لَوْلَاهُ لَمْ يَقُمْ
لَعَمْرُكَ مَا كَالِعِلْمِ لَوْلَاهُ مَا سَعَى
لَعَمْرُكَ مَا كَالِعِلْمِ لَوْلَاهُ مَا دَعَا
إِلَيْكُمْ خُذُوا عَنِّي نَصَائِحَ جَمَّةٍ
خُذُوا سِرَّ مَعْنَاهَا بِلُطْفِ مَقَالَةٍ
خُذُوا مِنْ لَطِيفِ السَّحْرِ مَعْنَى خَيَالِهِ
يَفُوحُ بِمِسْكِي الْخِتَامِ مُكَمَّلًا
على المصطفى والآلِ وَالصَّحْبِ مَا دَعَا
وَلَا شَرَفُ كَالِعِلْمِ يُرْجَى فَيُذْخَرَا
لَا صِفَ لَمَّا جَاءَ بِالْعَرْشِ لَا يُرَى
بِإِلْقَائِهِ حَتَّى خَالَتِ الصَّرْحَ أَبْجَرَا
لَا دَمَ بِالْأَسْمَاءِ خُبْرٌ فَيُخْبِرَا
مُحَمَّدٌ فِي الدُّنْيَا بِشِيرًا وَمُنْذِرَا
إِلَى اللَّهِ سَاعٍ وَاسْتَوَى مُتَصَدِّرَا
إِلَى اللَّهِ دَاعٍ فِي الْأَنَامِ وَبَشَرَا
يَشِيدُ لَهَا صَرْحَ الرِّضَا مَنْ تَدَبَّرَا
تُدِيرُ كُؤُوسَ الْحُبِّ شَهْدًا وَكُؤُثَرَا
يُفِيدُ أَخَا الدَّوْقِ السَّلِيمِ تَبَصُّرَا
بِخَيْرِ صَلَاةٍ مَعَ سَلَامٍ تَكْرَّرَا
إِلَى اللَّهِ دَاعٍ فِي الْأَنَامِ مُشْمَرَا^(٦)

(٦) في آخر الأصل المخطوط تذييلٌ للقصيدة بقلم ناسخها؛ قال فيه: «تَمَّتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ الْغَرَاءُ الْمُسْتَنْهَضَةُ لَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَمَا أَجْدَرَهَا أَنْ تُدْعَى بِالنُّهْضَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْجَوْهَرَةِ النَّظَامِيَّةِ، لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ إِعْزَازِ الْإِسْلَامِ وَرَفْعَتِهِ، وَمِنْ سِحْرِ الْبَيَانِ وَبِرَاعَتِهِ. جَزَى اللَّهُ نَاطِمَهَا خَيْرَ جَزَاءٍ، وَعَامَلَهُ بِالْحُسْنَى، وَلَقَاهُ مُبْتَغَاهُ مِنَ الْمُنَى، فَقَدْ حَثَّ وَنَصَحَ وَحَصَّ وَدَعَا ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت / ٣٣].